# الإنحدار إلى أعلى

حسن غريب أحمد

الناشر

**الجمعية المصرية لرعاية المواهب**




١٣٦ ش الترعة البولاقية
شبرا مصر - القاهرة

الاخراج الفنى

للصحفى / عادل فؤاد

# إهداء

إلى روح وجودى التى عجز قلمى عن وصفها كما عجز لسانى عن التعبير إليها ولو بكلمة حب أو شكر أو تقدير إلى مَنْ تسمو فوقه الكلمة إلى الروح الطاهرة الخيرة إلى روح أمى الخالدة أهديها أول نتاج لى .

حسن غريب أحمد

# مقدمة

ما زالت الجمعية المصرية لرعاية المواهب تحاول وتناضل وتقاوم من أجل المواهب المنتشرة فى بلادى .

واليوم نقدم « الإنحدار إلى أعلى » المجموعة القصصية البكر للقاص الشاب « حسن غريب أحمد » من سيناء الحبيبة والقاص يمتلك الموهبة وحداثة الأفكار والوجع اليومى الذى يستمد منه شخوصه وأحداثه فهو يعزف على آلام الحزن والفقر والأحلام التى لا تأتى وشخوصه محبطة ممتلئة بالهم والغم وهو بذلك يؤكد أن الحزن النبيل هو الذى يأتى بالأفكار النبيلة

وبالأعمال التى تسكن الفؤاد وتحتله دوماً .

فتحية حب إلى « حسن غريب أحمد »

وإلى لقاء

***الشاعر الصحفى***

***محمد سيد خليل***

# إنتقام الزمن الردئ

تبوأ ركناً قصياً وكأنه أراد أن يتوارى عن أنظار الطلبة والطالبات يلوذ منهم فراراً حتى لا تكويه نظراتهم الطاعنة لثيابه الرثة بات مألوفاً لديهم ليس بعلمه أو نبوغه بل بمظهره الخارجى الهمس الدائر حوله عند مؤخرة قاعدة المحاضرات ينغز فى إحشاءه سوسن الطالبة الثرية صاحبة أفخم سيارة تجلس أمامه يتمايل عليها حشد من صويحباتها يتبادلن فى دلال أنثوى مجموعة من الصور .

خطيبك شيك جداً بدلته غاية فى الشياكة

تترى على مخيلته صاحبة المنزل تتهدد أسرته بالطرد لإنكسار الشهر الرابع دون

دفع الإيجار تلاحقه كلمات أبيه لابد أن تواصل تعليمك يا بنى تخير أصعب الأقسام حتى تنال ثمرة كفاحك أبوه هذا الذى يقضى طيلة الإثنتى عشرة ساعة بظهر منحنى وأنفاسه اللاهثة داخل المخبز البلدى هذا الصباح جاوز فيه الهامس من أذنيه رامى بارك الله فيك اسع يا بنى فى استعجال الحصول على القرض من الجامعة عمك حسان الجزار أخذ فى الإلحاح علي لاسترداد العشرة جنيهات التى أقرضنى أياها ثمن كتبك يا بنى.يتقافز برأسه منظر أبيه أمام نيران الفرن الملتهبة حتى فى أتون ساعات الحر ألقى بنفسه فى لجة من الظلمات زحام شديد أخذ يلعن فى سريرته ذاك اليوم الذى حصل فيه على أعلى مجموع في الثانوية

العامة ليشد من أزر أبيه ثم نكوثه عن اصراره بعد أن بللت دموع أبيه خده صاحبة المنزل ولسانها السليط غرة كل شهر وتقصعها ومصمصة شفتيها « متشغل يا أخويا الشحط اللى عندك علام أيه ؟ واهوه نواية تسند الزير علي رأى المثل .

اخوه يعود فى عصبية هو جاء يلقى بالنوته على الارض عم أحمد البقال مش راضى يدينى علبة السردين « الحساب تقل قوى وحياة أبوك انزاح بقى عن وشى » المعلم حسان الجزار ماسك تلابيب أبيه وكاد يخنقه فين يا راجل العشرة جنيه العمى ؟ كم شهر تقولى بكره بعد أسبوع العيد .

افاق من شريط الاحداث هذا على سماع اسمه رامى أحمد سلامه يهرع إلى شباك

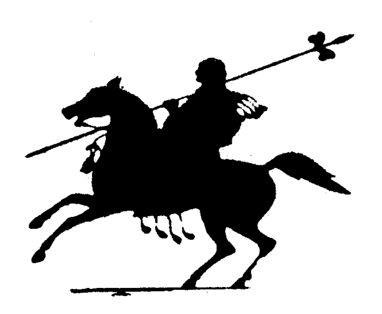
الصراف حيث تطالعه خلف القضبان كومة
كبيرة من الاوراق المالية أخذ يتأملها - لأول
مرة تقع عيناه على مثل هذا الكم من الاموال
لا يفصل بينه وبينها سوى قضبان من
الحديد عدا القضبان الوهمية التى هى فى
نظره أصلب من الحديد أخذ يتأمل الصراف
المنكب عليها بجانبه قطعة من الصابون كلما
يمسك جنيهاً يدلك أصبعه عليها خشية أن
يصرف جنيهين ملتصقين .

نظر إليه الصراف وسأله هل سدد
المصروفات ؟ عاجله رامى بلا طيب يا
أخينا حسابك أربعة جنيهات دفعة أولى
والأربعة الاخرى تصرف فى النصف الثانى
من العام والمصاريف ثلاث جنيهات وخمسة
وثمانون قرشاً أى الباقى من القرض خمسة

عشرة قرشاً تفضل - سقط فكه الأسفل من هول المفاجأة والتمس يده مغلولة لا تقو على الامتداد لأخذ المبلغ من الصراف .

يتراجع بصعوبة بالغة مستخلصاً نفسه من براثن هذا الحشد يد لف من خارج الجامعة يطالعه الزحام شديد أشد وطأه عند محطة الاتوبيس تزاحمت الرؤية بناظريه بات لا يري الا مسافة الخطوة أمامه تتحس خطاه الوئيدة الشوارع المؤداه الى منزله يتحسس بين الفينة والأخرى الخمسة عشرة قرشاً ما تبقى من القرض الذى يتوسم فيها أبوه وأمه وأخوته الإنقاذ يقترب من بيته تقع عيناه على زحام أمام جزارة المعلم حسان يدفعه فضوله للإقتراب يرى أباه بين يدى المعلم حسان يهزه بعنف يعض على نواجزه ألماً وحسرة يهرع من فوره الى البيت يدفع

باب الشقة بقدمه يرتمى على سريره المتهالك يغالب الآلام التى أخذت بأسفل أحشائه يتهاوى الى مسامعه صوت أخيه المشحونة بالبكا،« عم حنفى مش عايز يدينى العيش والحلاوة على النوتة » تربت أمه بيديها الحنونة على كتفيه ربنا يفرجها يا ضنايا أخوك الكبير زمانه جاى ومعاه الفرج



# إعتراف

رأها .. فى احدى الندوات الأدبية التى
تعقد كل ثلاثاء .. وأول مالفت نظره لها
وجذبه فيها اصغاءها وصمتها المسهب .. لكل
الاعمال التى كان يستعرضها الادباء من شعر
وقصة .. وجاء الدور عليه فى تقديم نتاجه
فعرض قصته تلك اليتيمة بين كل ما قدم
من شعر .. وعلقت بقولها « القصة نهايتها
مأساوية » وابتسمت بوجه مستطيل
ان ه الى خارج شفتاها وعينان
النار .. وقصر القامة وكإنها لم
ـر ياً .. فضولى دفعنى لحضور
الندو ـ لرؤيتها والإمعان فيها اكثر
أعماقها لإدراك ما يدور

بنافورة رأسها وقد كان .. تقابلنا تكرارا ومرارا .. شعرت بقربها منى وبمودتها حتى دخلت عند الحدود المتعذر تخطيها وهى الدخول في القفص الزوجى .. الذى يدخله كل من يرغب الهروب من ضائقة سجن الى ضائقة سجن أكبر ومن النفس الى النفس ..

عزفت على ألحان الحب واستكماله بنهاية زواج سعيد .. وكلام معسول كثير .. وقد كان تزوجنا وليلة العرس اكتشفت الملعوب الكبير واتضح لي أننى أكبر مغفل .. فلقد كانت فاقدة بكارتها وغير مغلقة كما حسبت .. تحملت على نفسى التى لم تتحمل .. وحركت داخلى كل الانفعالات وحطمت على أفكارى الباقية وحولتنى المفاجأة الى اخرس أصم وأجحظت عيناى الى خارجها

وارتفعت درجة الحرارة .. أصفر وجهي كلون
الكركوم .. نزل لساني الى الارض وكاد أن
يلامسه ولبثت صامتا مبهوراً مشدوها لما
رأيتها وهي واقفه أمامي بلا مبالاه لا تأبه ما
أنافيه .. لا تخشى شيئاً .. لا يهمهما
الفضيحة .. وترنو مني كأن الأمر لا يهمها
.. وتقبع فوق السرير في بلاهه وتجاهل
عارية كيوم ولدتها امها .. في ذلك الوقت
دمرت وفجرت داخلي كل الاحاسيس الصادقة
اشقائي ينتظروني بالخروج بعد دقائق
لاعطائهم شارة الشرف الغير كامنه فيها ..
أشعر بأن الزغاريد هي اعيرة نارية تخترق
جسدي والأهازيج والاغاني هي اعلانا للحداد
على في يوم مماتي .. كنت أود أن اجهز عليها

واقضى على بقيتها الباقية .. على برود اعصابها على عينيها الكذابتين .. على لسانها العفن الذى كان يقول حلو الكلام وفجأة .. قررت ان اقنع نفسى بحياتى معها هكذا وأن الطخ منديلاً بالدماء واعطيه لمن ينتظروننى خارج الغرفة « وربنا أمر بالستر » ولكن ما حدث بعد الزواج ومرور شهر العسل المر .. كان شئ آخر .. وصدق المثل القائل « خيراً تعمل شراً تلقى » فلقد وصل بنا المطاف الى الطريق المسدود الى حافة الهاوية .. الى جحيم الحياه .. خلافات مستمرة بسبب حماتى انجاب لطفله لا أطيق رؤيتها لانها تشبه ألد أعدائى وهى حماتى .. تلك الكتلة المتكومة من الشحم واللحم دون التفرقة والتمييز بين الوجه والقفا .. بين

القبل والدبر .. والجسم وقضايا لانهاية لها
ودون تحديد رأسها من قدميها متكورة على
بعضها كالدب القطبى ، تلك الابنة .. التى
سماها بأسم من كان يعشقها بجنون ولكنه
لم يرتبط بها لحاجته وضيق اليد .. ابنته
التى إن شاهدته لا تعرفه .. وتردد مقولة
« بابا » عن ظهر قلب دون الاحساس بها ..
وانا اعتصر حزناً وألما لذلك الشعور المنعدم
ولذلك الحلم المشوه الحلم الذى تحول الى
كابوس مزعج والى شبح ملعون بات يعيش
داخلى كل يوم .. كل لحظة .. ولا ادرك كيف
التخلص منه ومن شرنقته الخانقه .. لم آبه
لتحذيرات كل الناس .. اقاربها المقربين
منها .. من يعرفونها بالابتعاد عنها .. لأنها
زلزال متحرك .. وأمها قنبلة موقوتة ..

وغداره كما البحر الهائج .. لم اعط اهمية لما قيل وقال .. كنت فى حلم جميل يبدو أنه تحول على حين غرة الى حلم مغتصب مفزع مروع ومخيف .. حلم حولنى الى انسان حطام .. انسان آخر .. الى ابله وعبيط لا يقدر أن يفرق بين الصالح والطالح والأخضر واليابس والابيض والاسود .. وسرت فى طريقى اللانهائى .. فى طريق الظلمات الهالكة .. وفى شارع ملئ بالضباب الذى لا اعرف نهاية دربه .. ارنو الى مرآة نفسى فأجدها صورة قاتمة كعفريت صورة لا أقدر على تحديد معالم ذاتى المفقودة .. داخل برواز معتم وحلقة مفقودة لانهاية لها .

# الإنحدار إلى أعلى

ما كل هذا يا أخى الذى ألم بك من الجنون والجوع والبكاء ؟ حتى الصرخة العمياء في كفن الصمت تتوغل فى النسيان وترسم للمستقبل زمنه الاسود ، حتى البلابل وسفر الاحزان تنام بين جفنيك .

لم تكن ميتة سعدية ميتة طبيعية هذا ما شاع فى الحى وهذا ما أثبتته تصرفاتك ولكن الطبيب أثبت أنها ماتت نتيجة لارتفاع فى ضغط الدم ، لقد أصبحت وحيداً يا حمدان بكل ما تملى إليه الوحدة . من ملامح القلق والضجر والإنفراد . كنت عندما اقترب منك تهرب منى وتذهب لتجلس تحت شجرة النخيل الهرمة مقابل بيتنا

القديم بالقرب من البحر ، وكنت أرى بعينيك أكثر من دمعة حزينة تنهمر وتنزلق على خديك بإتجاه مستقبل غامض فتنزلق بحزن عميق ، وماذا بعد ذلك .. لقد تركت المدرسة بعدما ضربك المعلم وهربت ولماذا ضربك ؟ لماذا هربت ؟ لقد غبت أسبوعاً عن المنزل وأمك خرجت إلى الشارع حافية القدمين عارية الرأس تهيم على وجهها تبحث عنك وكأنك طفل صغير . أراك تغفو على قبر سعدية ويأخذك الصباح على حين غِرةً .

حمدان – فى كل زمان وفي كل مكان أنت كالبحر فى غموضه وكالريح فى اغفافتها الطويلة علي وسادة سوداء تصنعها هموم الزمن ، كيف ماتت سعدية يا أخى ؟

قل لى أيها الباقى الحزين الصمت الذى فى عينيك يتحول الى كتلة من الاحاسيس والمشاعر ، وتغزو أحلامى وتعود بى الى ماض أسود ، يفتش بين خفايا الليل عن أسطوانة الحاضر ومعزوفة الأيام وقصائد النسيان .

حمدان : - ما الذى دهاك ؟ أى طريق اتبعت حتى وصلت الى هذا الوضع البائس اخى ما الخبر يا حبيبى ؟ أجب . يجب أن تتكلم الزمن فى عينيك سؤال يجف أشواك النهار . والليل أمامك ولا أرى خلفك غير صحراء واسعة مليئة بالعواصف والضباب . هذا رأسى بين يديك أغمرنى بأوجاعك وأحرقنى بأنفاسك اقتلنى ولكن لا تنقسم بك .. لا ترجمنى بعينيك ولا تهجرنى بسمات شفتيك ولكن لا تسقط لا يمكن أن

تكون مجرد رجل لك عينان حزينتان تجمعان أحزان الليل بنظرة واحدة . لا يمكن أن تكون قطعة من جليد تحارب خيوط الشمس الحارقه . إنك أكثر من أخى يا حمدان إنك صديقى لذا يجب أن تكلمنى .

أتذكر عندما رجعت إلى البيت فى منتصف الليل ؟ كنت لا أدرى مستيقظاً أتذكر ما جرى ؟ أخذت تحدثنى كالسكران لقد كنت مجنوناً .. أخذت تقول كلاماً لم أستطع فهمه وكأنك أخرس جاءته نعمة النطق من جديد فلم يعرف ماذا يقول .

لقد قلت لى إن فى الحياة مذابل كثيرة ومتعددة ولكن أى مذبلة تناسبنى أو تناسب حزنى ذلك الذى يزاوج حياتى . وقلت لى إن الخطيئة ليست من صنع الإنسان وليس من

هو يبتكرها ولكنها لعبة حمقاء تولد فى الاحشاء ولا يستطيع أن يلعب بهاأى حورية أو دونها . أخذت يا حمدان تكلمنى عن الحورية أية حورية ؟ أهى تلك الشقراء أم حورية حسناء؟ تجلس فى آفاق المستحيل ينتظرها ألف عاشق بلهفة مجنونة أم تلك الشاردة كغزال بعيد يفتش فى هذا الزمن الغارب عن ملجأ بارد يقيه من حرارة الاسباب المتراقبة . وعيناك مطويتان استمرتا بموجتين وأغتسلتا بالأسى ولكنهما تبحثان عن أمير مجنون . لماذا قتلت سعدية يا حمدان ؟ ولماذا أخفيت السر

إنى أرى كل شئ فى عينيك لقد جعلت من أهدابك مذبلة للتدخين وأسقطت عن جسدك رداء الحقيقة وأطلقت إلى شفتيك أوساخ

الارض وما يعكر صفو الليل . لماذا سرقت خزينة الشيخ التى يمتلكها شيخ القبيلة ؟ واين ذهبت بهذه الأموال ؟ هل أنفقتها على المحرمات والست لواحظ ؟ إنك تعيش فى الخطيئة بل إنك الخطيئة وزمنها ، وانك شبح الموت الذى يحوم حول الروح البشرية النقية .

أتذكر يا حمدان عندما سألتك ما هو الموت ؟ ولماذا يموت الإنسان ؟

أخذت تحدثنى بلهجة العارف المتمرد .

هل لى تسألنى عن الموت لقد سمعت أمى تتحدث عنه أكثر من مرة .

إنه مارد يا أخى .. مارد أحمق يأخذ منا أجمل الأشياء وأرقها . . إنه حاجز صمت كبير يفصل أرواحنا عن الحب .

الموت أن تموت وأنت مازلت حياً . إنه
إمرأة تجلس فى مقهى بعيداً بعيداً جداً
يحتضنه شارع البكاء ذلك الشارع الطويل .
شارع الحزن الأسود .



# تداعيات إشكالية

قالوا له إن مشكلته ليس لها مثيل حتى في جزر الواق. سار يلتمس الآراء فلا خاب من استشار .

ابتلع الحلق بالصديد . أشار إخوته الذين يقطنون أقاصى ضواحى المدينة .. بضرورة الرجوع الى الله بعنف لا نهائي وتقديم نذر لضريح مقام الشيخ الكبير خرج الزبد من فمه سال على الجانبين زادت اتساع الحفائر في وجهه .

أسرع خطواته المألوفة حيث نشرة الأخبار وقراءة الصحف وإحتساء الشاى ليل نهار .

ووحيداً فأبوه لا يعتبره رجلاً من يحمل أطفاله في الطريق يسلم أذنيه للمحامى المشهور الذى احتواه بعينيه ركنه في زاوية

العين . اعتلى قدم فوق الأخرى أخرج لسانه
حتى كاد أن يلامس الأرض . أشاح بيديه
يبتهل ربه . مع أن الموضوع لابد من التعرض
له بقفازات من حرير إلا أنه لابد لك من
الإستعانة بكبار الأساتذة سار مغمض
العينين طفحت الحفائر زبداً على وجهه أبوه
لا يعتبره رجلاً من يلتصق ملابسه بمؤخرته
صدم قرب المسجد بتقى يعرف ملامحه .
ارتاحت نفسه ، التحم بلحيته الطويلة
أكد الشيخ أن الآلهه دائماً طيبون
هرع إلى البيت مسرعاً
نسى أن يشترى الفاكهة يتوق لارضاء
زوجته . حقق نبوءة الخيال العلمى فى زوجين
سعيدين هل كان الجسد الواحد يوماً يكفى
لروحين « كان »

## القدر المحتوم

رن جرس المنبه بجواره ، ولكن يده امتدت إليه لتسكته ، فهو لم يأخذ قسطه من النوم ، وبدأ الطرق على باب حجرته ، لابد أنه والده قد أتى لا يقاظه كيف سيسكته إذن ؟

وأخذ الأب فى النداء على ابنه أن يستقيظ لقد حان موعد ذهابه إلى عمله ومع تقاعس الإبن عن الإستيقاظ تصاعدت نداءات الأب عليه مع تعليقات استنكارية على السهر حتى الفجر الذى يسلبه القدرة .

اه لو كان يعلم أبى أننى أدخل سريرى لأنام من بعد العشاء .. نعم .. أنام مبكراً هرباً من كل الاحباطات التى أصابتنى والتى لا أجد دواء لها غير النوم إما النوم .. أو



هل أعادت صلتها بأختها الأرضية « ممكن » يلسع أذنيه صراخ زوجته « يا مقصوف الرقبة أنا ما عنتش طيقاك » تقذف الإبنة بالحذاء يخلع عين الأب .

الجنون .. فالنوم أهون .. يوقظنى لأذهب إلى عملى .

مجرد أن أذهب فى الميعاد لأوقع فى دفتر الحضور . .

ثم أجلس بلا عمل .. بلا مكان أجلس عليه .. اللهم كرسى أختلسه من أحد الزملاء خرج إلى الشارع ، قابله هواء الصباح البارد .. سار فى الطريق إلى محطة الأتوبيس واضعاً يديه فى جيوبه من الصقيع ، وفى الطريق ، أمام أحد المنازل القديمة وجد رجل هرماً تجاوز الثمانين من عمره يضع بطانية علي كتفيه لتقيه شر البرد واقفاً أمام منزله ينادى على بائع الجرائد ليقتنى جريدة الصباح .

نظر إليه فى إستغراب شديد .

وأخذ يسأل نفسه . ما الذى سيحدث لو لم يقرأها هكذا مبكراً ... وما الذى يدفع هذا الرجل العجوز إلى الاستيقاظ مبكراً في هذا الوقت ؟ أهى جريدة الصباح ؟

وأخذ يحدث نفسه عما يمكن أن يفعله حينما يصل الى سن هذا الرجل ؟ .. من المؤكد أننى لن أترك سريرى قبل الظهر .. علي الأقل في مثل تلك الأيام قارصة البرودة

وبينما هو غارق فى الأفكار ونظره متعلق بهذا الرجل العجوز ، لم يلمح تلك السيارة المسرعة القادمة من الطريق المضاد دهمته السيارة .. وكان أول من أسرع إليه هو ذلك الرجل العجوز . . وبخبرة عمر كامل عرف الرجل ما حدث . .

لم يجد أمامه ولامعه شيئاً يغطى به الجثة



الدامية أمامه غير جريدة الصباح التي لم يقرأها بعد ...........



## وجه ملائكى

كنت أبحث عن هذا الوجه الخمرى اللون منذ زمن ، وجه ملائكى لم يعكره عصف الزمان ولا تقلباته التى لا تثبت علي أى حال العينان العسليتان الواسعتان .. والوجه المستطيل .. والأنف المحدب والشفاه التى حباها الله خاتم سليمان والابتسامة التى تغزو القلب بلا استئذان لأنها صادقة وغير مزيفة كما هو حال العديد من جيلها .

لا تسمع لها صوتاً إلا إذا سألتها فى شئ ، ضحكتها التى تجلجل فى الأعماق فتكسر الإحساس الغليظ لرفاهيتها ، ونظراتها التى تعد على الأصابع إنك مع بلقيس أو كليوباترا فى عهدها الغابر وجها وضاء لا سيما بالملابس والغطاء الذى تلم به شعرها

الذى لا أيقن حتى هذه الفينة أن كان ناعماً كستائياً متموجاً أو عادياً وفى كلتا الحالتين فهو مقبول وهى تدفع كل من ينظر لأنها تشعرك بقدسيتها ورهبتها فحتى لو أردت مداعبتها ستحجم بالتولرد فعلها ازاءك رسمت صورتها في خيالى وكنت أبحث عنها فى الفضاء الخارجي وعالم الخيال وأضغاث الأحلام وفجاة عثرت عليها أمامى وكنت ملكت العالم بين يدى عندما شاهد كل أوصال جسدى . تحركت من مكانها .. لم أدر ماذا قلت وماذا فعلت عند شرحى لأحدى الدروس فى اللغة العربية .. كانت تقبع بالقرب منى .. وأنا أحاول أن افتح عينى واغمضها لأقنع نفسى بصدق الواقع الذى أعيشه .. أنها هى حقاً .. هى بدمها وشحمها ،

أردت أن أشعرها بذلك الأحساس .. أن ألفت
انتباهها فى بادئ الأمر لكن ضاعت كل
محاولاتى سُدَىً فى مهمات تذروها الرياح .
وغابت عن عينى بيد أنها لم تغب عن قلبى
ولو لحظة واحدة فهى فى فلذاتى ومنامى
وحياتى تعيش وتنخرط داخلى .. وغابت ..
ثم عادت تطل بوجهها الملائكى الوضاء ..
وعندما وطئت قدماها مكان العمل بغية شئ
ما شممت رائحتها وحفظت صوتها كصلاتى
الإلهية .. نظرت إليها مليا وأمعنت النظر .
فلم أجد سوى قلب من فضة وأدب بالغ الحد
إلى درجة الخجل من كل شئ تفوهت به .. إنها
تسير وكأنها تمشى على الماء .. أراها فى
بسمة الفجر الوضاء وصلاة الصبح الطاهر ..
أحببت تلاميذى لأنهم أحبوها وعشقت

المكان الذى تجلس فيه وجعلته محراباً لحبى
المقدس وأخيراً أعترفت لها .. بكل ما يدور
في خلجات ذاتى .. أحسست بإرتياح شديد
عندما أفرغت تلك الشحنة التى كانت
تعذبنى وكأنها حمى شوكية تلهبنى .

وألتقيت بها .. وكلما وقفت أمامها أجدنى
كطفل صغير يحبو صوب أمه ليرتمى فى
حضنها أو كنبتة تبحث عن قطرة ماء
لتحييها على وجه الارض .. كنت أتفوه بكلام
كثير وكانت تنظر فى الأرض وتجيبنى
بكلمات مقتضبة .. لست أدرى هل هذه
سليقتها أم !! وقالتها لى ..... قالت إنها
خائفة هذه الكلمة أحدثت بركان داخلى
أشعلت ناراً لن تطفئها السنين الآتية
ولكننى أحببتها .. حبى لها ليس كفقاقيع

البحر أو برق لا يسمعه أحداً .. أحسست
بأننى أشعرتها ببعض الأمان .. وأفترقنا
على أمل اللقاء .. ومازلت ألف وأدور كل
يوم حول مكانها لتنعم على عطفاً وحناناً
بنظرة صادقة وابتسامة كقرص الشمس
الدافئة على قلبى فى الأيام القارصة البرودة
ومازلت أجوب تلك الشوارع أبحث عن وجه
ملائكى يطل من وراء النافذة



# عفواً حبيبتى .. أنه القدر

كر السلالم كراً ..... كم هو سعيد
تتراقص النغمات بين شفتيه .. منتهى
الأناقة .. تتخايل قسمات الشباب على وجهه
- أدار المحرك .. إنطلقت السيارة .. كان
يمنى قلبه بموعد وردى - نظر فى ساعته .
لابد أن يصل مبكراً حتى يستعد لملاقاتها ..
سيكون اللقاء الدافئ فى شقة الزوجية
تلك التىأرهقتهحتى حصل عليها :
أهم مميزاتها أنها فى منطقة هادئة
بعيدة عن الضوضاء .. إشارات المرور تلك
مشكلة .. ألا يعلمون أننى ذاهب إليها .
ضغط بكل قوته على البنزين .. انطلقت
السيارة .. أول أمس ودعته بنظرات شوق

تترجم كل الحب .. لولا وجود أهلها .. نظر بعيداً .. كيف القاها .. بالأحضان ؟ أم أقبلها لا انني خجول .. فقط أصف لها مدى حبي .. وان عجزت الكلمات ؟ لأول مرة أرى زحاماً في هذا الشارع .. الناس متكتلة حول شئ أمامهم ..لابد أنه حادث نعم حادث .. أشار الجمع للسيارة .. احتار في أمره يقف أم لا !! انطلقت السيارة اعذروني . قالها ملتمساً . امتعض وجهه . هل كان ينبغي أن أقف . تساءلت نفسه تأرجحت بين الأفكار وصل لأول الشارع الذي يقع في نهاية مكان اللقاء كان يجب أن أعود ؟ .

صرخ الشيطان بداخله .. مالك بهم - راح يؤنب نفسه - أين الإنسانية ؟ أين الشهامة كيف تتأخر عن العون ؟ أحس بالندم هل هذا .. وقته !! أدار المفتاح في باب الشقة ..

قــرر حـــسم هذا الموضـــوع .. عـــلا فـحـــيح الشيطان - أحس بـبـعض الأطـمـئنان ..هذا اختصاص الإسـعـاف .. هدأ قـيلاً .. جلس على مقعد مقابل للباب .. نظر فى ساعته هى على وشك الوصول .

عندمـا أفـتح البـاب سـأجـدها أمـامى .. أتناول يديهـا - تدخل . ثم . قطع تفكيـره صوت جرس .. انطلق الى الباب .. تذكر أن الباب لا يحمل جرساً .. جرى إلى الهاتف .. رفع السماعة .. نعم .. أنا .

برقت عيناه وأغرورقت بالدموع تحشرجت الكلمات بين شفتيه وهو يسقط على مقعده .. أصيبت فى حادث .. ألقى رأسه بين كفيه وراح يبكى .

عفـــــواً حبيبتى إنه القـــدر .....

# أنها حقاً جميلة .. ولكن

كنت محشور بين الأجساد المتلاحمة فى الأتوبيس المتجه الى الجامعة .. قبضت بيدى اليمنى على عامود الحديد المتدلى من السقف فعادلنفسى شيئاً من التوزان شددت كفى اليسرى المعروقه على يد حقيبتى كأننى أتأكد أنها ما زالت معى .. عبثاً أحاول أن أتحرك كأنني مقيد بأصفاد من أخمص قدمى حتى قمة رأسى .

الأتوبيس يسير ف بطء كأنه ينوء بحمله الثقيل .

اختلطت الانفاس المحمومة بدخان السجائر وبرائحة العرق فتلوث الهواء

وأصابني بالتقزز .. رحت ألتقط أنفاسي بصعوبة .. تمنيت أن يسرع الزمن في خطاه فأجد نفسي جالساً في مدرج الكلية .. أحسست بحركة من ورائي اختل على إثرها توازني فتشبثت بكل قوتي بالعامود الحديدي بجهد شديد أدرت رأسي والألفاظ الغاضبة تتصارع في حلقي .. ولكن غضبي المتأجج قد خمد تماماً .

وأنا أحملق فيها مبهوراً بجمالها الغلاب .. في عمر الورد هي ذات شعر أصفر كأنه جدائل من الذهب البراق الأصيل .. ابتسمت وهي تعتذر ثم صوبت إليّ نظرات ثاقبة من عينيها السوادين . الواسعتين فلمحت بريقاً غامضاً .. إلتصقت بي أكثر وأكثر تسلل عبيرها الأنثوي الطاغي الى نفسي

فأسكرها .. أحسست بنهديها المثلثتين يخترقان قميصى الرقيق وينغرسان فى ظهرى .....

سرى فى كيانى تيار جارف من النشوة .. رحت أهيم فى دنيا الأمل والأحلام الوردية ..أتحسر على السنوات اليابسة من عمرى الباهت .. غبت عما حولى لحظات لا أدرى كم طالت حتى شعرت بها تنتزع جسدها الساحر منى ثم تغمزلى بعينيها غمزه أتت على البقية الباقية من صوابي ثم ذابت وسط الزحام . لملمت نفسي واطحت ببقايا التردد .. اسرعت كالمجنون اشق الزحام لا اكترث بالاقدام التي ادوس عليها ولا أعبأ بالهمهمات الساخطة عليَّ .. وفجأة رأيت الكمساري بجسده الضخم يسد على الطريق

وهو ينقر علي صندوق التذاكر.. زفرت في غيظ شديد وبكل اللهفه رحت ادس يدي في جيب بنطلوني لأعطيه ثمن التذكرة ..

أرتعد قلبى والاوتوبيس يتـــوقف .. تسارعت دقات الفزع في صدرى يا للهول سقطت الحقيبه من يدي دون ان ادري .. رحت افتش في جيوبي كلها .. صرخت مذهولا والكمساري ينظر اليّ في لا مبالاه .. لقد سرقت نقود ي والاوتوبيس يتحرك ثم ينطلق.. وأدركت أن صاحبة الشعر الاصفر جميله ولكنها من بنات الهوي اللواتي يسرقن الكحل من العين . وانا كنت واحد من الضحايا . إنها حقا جميله ولكن !!

## الطابور

فجأة وبدون مقدمات او إشعارات ..
تحول الطابور شبه المنتظم الي هرج ومرج
وفوضي .. وتعالت الصيحات وأختلطت
اصوات النساء بالرجال .. ثم أختلطت
اجسادهم .. وتلاحمت — وتلاحمت ..
وتحولت المسام الضيقه علي الوجوه الى
صنابير ينهمر منها العرق بغزارة .
لم أعد أفهم شيئاً .. لم اعد اشعر بشئ
.. العيون تشع منها الحراره – والملابس
تشتعل .. والاجساد كالمعادن تنصهر .
كنت في المقدمة .. لم تبق سوى خطوات
قليلة وأصل عيناي تتشبثان بالحائط
لكنهم جذبوني للخلف .. قاومت .. وبكل
الاصرار تشبثت يداي بالحائط ازدادت

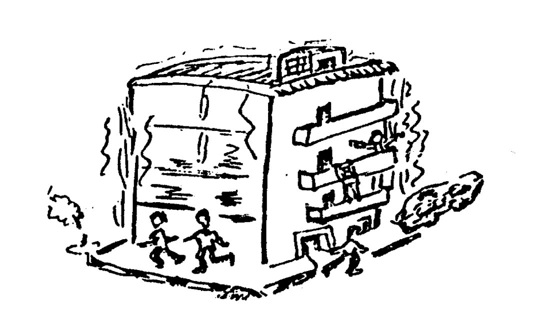
قوتهم وازدادت كثرتهم .

الحائط أملس ناعم .. الحائط يدفعني وهم يسحبوني للخلف ، مزقوا ملابسي انهرت وسقطت ، وفقدت المقدمة .. ذبت بين ضلوعهم .. ألقيت بنفسي خارج الطابور لا أدرى ما حدث كان شئ طبيعيا . كنت في المقدمة .

أحدهم خرج من الطابور .. قال أنه آخر صندوق ثم بدأت المعركة .. الكل يريد أن يأخذ نصيبه من الصندوق الأخير قبل الآخرين .

هناك من يقف خلف الحائط المرتفع ، ينهر الجموع ، ويقسم ألاّ يبيع - الكل يلتزم والكل ينتظر . شخص يخرج من الباب الخلفى ليس من أبناء الطابور - مهندم الملبس ..لا

تتساقط من وجهه حبات العرق .. لكنه يحمل الصندوق الأخير .



# زهرة شبابى

أقرأ فى كتابى .. موضوعاته تشدنى ..
الامتحان يقترب .. أكاد آكل الأوراق أكلا ..
قذفت الشمس بأشعتها الدافئة من النافذة ..
ألقيت ببصرى عليها .. رأيتها .. ابتسمت
وبادلتنى الابتسامة أرقبها كل صباح ..
اصحو مبكرا لها .. زهرة .. بهية الطلعة ..
معتدلة الساق .. صغيرة .. قليلة الحجم..
تتمايل علىّ زاهية بجمالها .. ترقص لى ..
وتغنى لى .. وتعزف الحانا لم اسمعها من
قبل.. أرقبها بلهفة .. اشتدت حرارة الشمس
.. لسعتها بأشعتها اللئيمة .. تغار منها .. أو
ياويلتاه تكاد تحرق خليلتى .. ماذا أفعل ..
وماذا استطيع أن أفعل .. وقفت مغلول
اليدين .. تنحيت خائفاً منها بعد ما ودعتنى

كانت الاقــوى .. لـعنت الـشــمـس و.. افـلـت الـشمس .. بدت زهـرتـي مـجـهدة ذابـلـة هـزلـت. تكاد اوراقـهـا ان تـسـقـط عـلى الأرض .. تـريـد أن تـسـتـريـح .. نـامـت .. أشــعـلـت سـيـجـارة .. أخذت نـفـسـاً طـويـلا .. امـسـكـت كـتـابـى لأكـمـل مذاكرتي.. تـعـبـت .. مـلـلـت الـوقـوف والـقـعود .. هـمـمـت الى فـراشـي لاصـحـو مـبـكـراً قـبـل الـشمس .. شددت غطائي .. اغـمـضـت عـيـنـى .. وكان الـصـبـاح .. مـالـت تجاهي تـحـيـيـنـى تـحـيـة الـصـبـاح وغـنـت .. رقـصـت كـمـا كـانـت تـفـعل .. ازداد جـمالـهـا عـن الامـس .. لـقـد تـفـتـح لـهـا بـرعم جـديـد . حـكـت لـى عـن الـجـمـال .. والـرائـحـة الـعـطـرة الـتـى تـمنـحـنـي ايـاهـا .. وعـن الألـوان الـزاهـيـة الجـمـلـيـة الـتـى تـتـحـلـى بـهـا واترابـهـا . . وحكيت لـهـا عـن الـمـذاكـرة الـقـاتـلـة .. واترابي

المتقلبين والحياة المريرة و.. وعن كل شئ فى
حياتى .. أرق الاسرار يريحنى الحديث معها
.. اطمأن لها قلبى .. لن تخادعنى أو ...
بدأت تكبر مع بزوغ فجر .. وهبتني الحيلة
.. والحيوية والدفء .. وثقتى بنفسى .. نمرح
.. ونلهو سويا .. نتباهى بما نحن فيه من
حب وسعادة دائمة .. امتدت يد غليظة..
قطفتها .. دون رحمة أو شفقة .. رجل فارغ
الحب غليظ القلب .. ارعبنى .. نظرت اليه
باحتقار .. قفزت عليه صار حالا .. لا ارجوك
لا تقطعنى نثر فى.. همت اليه مرة اخرى ..
لطمنى بعنف علي وجهى .. امسكت بأطراف
ثيابه وقعت علي الارض .. كان يدب كالفيل
.. نزفت دموعى .. لم أطق النظر الي مكانها
.. اقتلعها الجبان لم يبق لها أثر .. ورقة ..

مـجـرد ورقـة للذكـرى .. اقـتـلعـهـا .. لكنـه لـم يسـتـطـع أن يـقـتـلعـها مـن قـلبـى ..........



# وقوع الكارثة

مثل كل جيرانه فى الحقل ومثل كل من شاهد ما شاهده ألقى بما فى يده وجرى نحو القرية بأقصى ما يملك من قوة ، كان يخيل إليه أنه يعدو الي الوراء أو أن الأرض تعانده فتمتد ، شعر بثقل قدميه كأنه يجر جوالين من الدقيق ، وشعلق بصره بالدخان الكثيف المتصاعد من سطح هناك يعلن عن وقوع الكارثة . لم يتوقف واستمر يعدو فقد كان هناك شئ لابد أن يصل إليه لابد .

وصح ما توقعه فقد خرج الحريق من بيت ملاصق لبيته ، وبدأت ألسنة اللهب الأحمر تمتد الى سطح داره .. لم يستطع الرجال رغم بسالتهم صد النيران المستعرة الغضبى

المتقدمة فى عناد وجسارة ، صدهم الصهد فأحجموا عن الإقتراب أكثر من اللازم .

غزت النار سطح المنزل .. تلك التى دهن حيطانها بالجير أخيرا وزودها بكنبتين من الخشب وضعهما بجوار جدارين متقابلين . وفرش بينهما حصيرا مزخرفاً .. لايهم .. لا يهم لابد أن يدخل الدار بسرعة قبل فوات الأوان .. حاول احدهم منعه فإنسلخ من بين يديه بقوة جبارة .. لم يلتفت الى كل الأصوات المحذرة والتى كان أغلبها يتهمه بالجنون ويناشده التعقل .. دلف الى الدار كسهم خارق وقصد توا الى
حجرة هناك فى قعر الدار التى عبقت بالدخان .. الحجرة خاوية تقريباً ليس فيها غير صومعتين لتخزين الدقيق وصندوق

خشبى عتيق ورثه عن جدته ، اغلق الباب
وراءه حتى لا يدخل احدهم ويحاول اخراجه
اكتفى بالضوء المنبعث من الشراعة الواسعة
فوق الباب والكوه التى فى السقف ، أسرع
وأزاح الصندوق من مكانه وجعل يحفر
بأصابعه وأظافره الطويلة تحت الصندوق ..
الاصوات تقترب والدخان الكثيف يغزو
الحجرة رويداً الاظافر تعمل بلا توقف ..
رأسه وجسده كله يميل هنا وهناك : ما هذا ؟
..حجر صلد كان قد سدبه الحفرة العميقة ..
رقد فى عناد ومنع الاظافر عن العمل .. نظر
نظر حوله فى قلق لمح خشبة كانت تسند
أحد أرجل الصندوق استعان بطرفها المدبب
فى الحفر حول الحجر الاملس ليزحزحه ..
أحتل الدخان فضاء الحجرة ، ونفذ الى

أعماقه .. تهيجت القصبة الهوائية ، وبدأ السعال يتتابع .. رأسة يدور .. ابتعدت الاصوات قليلاً وحل محلها صوت خشب يحترق . لم يعد يرى شيئاً .. يتنفس بصعوبة . النار تقترب خشب السقف يفرقع .. أزاح الحجر بعيداً ومد يده .. أمسكت النار بمؤخرة جلبابه .. أحاطته من كل جانب .. درات به الحجرة ولم يعد لها ركن .. صرخ فى ذعر .. سقط فوق صرة النقود التى استحالت هى الاخرى إلى رمـــاد ...

# المكتوب على الجبين

وقف حسان أمام القبر الذى ضم رفات والده العزيز الذى ما زال حاراً فى أكفانه ، ينظر الى جموع المشيعين وهم ينقضون من حوله زراقات ووحدانا، ثم أغرورقت عيناه بالدموع وتدحرجت معه حارة على وجنتيه جففهما حسان بيديه وفى ألم وحسرة فتتت كبده ومزقت أحشاءه وأذهبت نفسه شعاعاً وأصبح لا يري مكان قدميه ، مكث طويلاً وهو لا يدرى أين هو ؟

أهو على قيد الحياة .. أم فى عالم غير العالم الذى كان فيه من زمن قريب ؟ أم هو يرزح تحت عبء ثقيل وهم عظيم ؟ وأخيراً .. وبعد أن واري فى التراب القلب الذى طالما حن اليه .. والصدر الذى عطف عليه .. رجع

الى منزله متعثراً مترنحاً .. فلِمَ لا يترنح ؟ لقد توالیت علیه ضربات الدهر القوية ولِمَ لا یهتز ؟ لا طربا .. بل توجعاً وألما فالطیر یرقص مذبوحاً من الألم .

هذا والده الحنون .. الرجل الذی کان له فی الملمات درعاً .. هذا هو راقد فی لحده .. وقد انصرف عنه القوم - وانفضوا وبقى وحده وحیداً مدثراً بأكفان الموت .. ساروا جمیعاً وترکوه وحده یقطع تلك المرحلة الطويلة .. مــــرحلة الموت . ها هم أولاء الدائنون یبیعیون ما تبقي لتلك العائلة المنكوبة فی عیدها . ویجردونهم من الوطاء والغطاء .. رجع حسان الى الدار التی تنعی من بناها وكانها امام عینیه سواداً مراً - تلك الدار التی أمره الدهر ساخراً بالرحیل عنها

هناك .. رأى ويا لهول ما رأى . . رأى والدته
تنتحب مكفهرة الوجه باكية العينين وكأن
من بكائها السيل والمطر .. ليست وحدها
ولكن معها شقيقته الصغرى التى لا تعى
شيئاً أما مثله الدهر مع تلك العائلة التى
أصبحت مشردة تفترش الغبراء وتلتحف
بالسماء وأصبحت لا سند لها ولا معين ..
وجدهما واقفتين على باب تلك الدار وقد
ارتدت الأم السواد وبيدها بعض الملابس
التى تركها الدائنون . أخذهما معه وساروا
جميعاً إلى المحطة.. ثم ..منها إلى غير مأوى .

وصل القطار الى بلدة قريب لهم نزلوا
عنده ولكن البلوى لم تقف عند حدها بل
تعدت اذا قابلهم القريب فى فتور وبرود مما
أحزنهم وآلمهم أشد الألم . فأستقر رأى حسان

على البحث عن مسكن يأوون اليه خيراً من المقابلة الجافة المزيدة للأحزان .

وفى الصباح أخذ يزرع الطرقات والأزقة باحثاً عن غرفة رخيصة الأجر وبعد جهد عثر على ضالته المنشودة فى منزل حقير يكاد ينهار تمتلكه أمرأة جعدت السنون وجهها ينبعث من عينيها شعاع من الحقد على العالم . قادته الى داخل منزلها الشبيه بالكهف او المغارة وصعدا سلما يكاد ينهار تحت اقدامهم . وقفت المرأة امام باب قد اسود مما تراكم عليه قذارة أجيال مضت وفتحته على مصراعيه فأحدث صريراً أشبه صوت البوم . وأشارت العجوز الى داخلها وقالت : هذه حجرة تصلح للأمراء فتلفت حسان حوله فرأى التراب وقد غطى جدرانها

وتدلي من سقفها . ورأى العناكب قد اتخذت
منها موطنا وزينتها بنسيجها ، ورأى
الحشرات وقد اتخذت كل جماعة منها جحراً
تعيش فيه . كانت الغرفه اشبه بمتحف
للحشرات المنزلية والجراثيم . ولما وطئت
قدماه أرض الغرفة رأى فأراً يعدو فيها
ومالبث أن أختفيوكأنه ذاهب لاخبار زملائه
عن المستعمر القادم الى موطنهم . وما هى
إلا لحظات حتى رأي الجرذان تطل عليه من
ثقوب السقف والحوائطلترى هذا الدخيل . او
لعلها تريد الترحيب به .. !!!!

رأى حسان كل ذلك فملأ الاشمئزاز صدره
وكاد يجرى هارباً . ولكن ما الحيلة ؟ تلك
والدته وشقيقته فى انتظاره ومضى النهار
الا أقله وهما على احر من الجمر ينتظرانه
بفارغ الصبر فالمستجير ببعض الناس فى

نكبات دهره كالمستجير من الرمضاء بالنار . وكاد يجهش باكياً ولكنه تمالك شعوره وساوم المرأة فى الأجر واتفقا على أجر زهيد مراعاة لحاله وشفقة عليه .

أحضر حسان والدته وشقيقته الى المسكن الجديد المتواضع . ولما رأت صاحبة الدار أنهم بلا فراش . أخبرتهم بأن عندها ( حصير ) زيادة عن فراشها . قبل حسان العرض فأحضرت لهم ( الحصير ) الذى ينطبق عليه قول المثل / أكل عليه الدهر وشرب . فتح حسان النافذه فتسللت اليه بضعه خيوط من الشمس لا تكاد تنير الغرفه وكأن الشمس قد ضنت بنورها على تلك الغرفه وتعشش عناكب الشقاء . أو كأنها أشفقت على ساكنيها فلم تشأ أن تظهر لهم ما يحيط بهم

من بؤس رفـــاقـــه .. وفى ذلك المكان أوت العائلة المنكوبة .

مرت الايام تباعاً وحسان يبحث عن عمل ليل نهار . ولم يجد عمـلاً يرتزق منه هو وتلك البقية الباقية التى تركها له القدر ليزيده بها ايلاما من غير ما ذنب جناه ولكنه بالرغم من ذلك كان حديدى العزيمة قوى الاراده فتقبل سهام الدهر رابط الجأش ثابت العزم لا يهن ولا يلين .

أخذ حسان يخفف عن والدته أحزانها ويهدئ من روعها ويزيل الآلام من نفسها وقد كاد يحطمها ما ترى من بؤس يجر أذياله نحوهم وذل يتلقفهم وينشر عليهم أجنحته السود .

وفى ذات يوم خرج حسان كعادته للبحث عن

- عمل راجياً أصحاب الاعمال فى قبوله ولكن بلا جدوى حتى تقرحت قدماه .. وأخرج ما فى جيبه فوجده لا يزيد عن عشرة جنيهات وأخرج من جيبه الآخر ساعة هى أنفس شئ عنده . . أهداها اليه والده . وها هو ذا يجد نفسه مضطراً الى بيعها ليسد بثمنها رمقه/ ورمق هاتين التعيستين اللتين تركهما فى المنزل تتضوران جوعاً . باع الساعة بجنيه واحد ورضى بذلك مضطراً فالمضطر يركب الصعب . ثم اسرع الى شراء الخبز، وفى المنزل الحقير جلس الثلاثة يتناولون الطعام للمرة الأولى فى يومهم هذا . مرت الايام والاسابيع وحسان يبحث عن عمل والأعمال تفر منه .. رجع الي المنزل يوماً مسلوب الفؤاد مشرد الفكر قد كبله البؤس بقيود لا

يمكنه الخلاص منها . وما كاد يقترب من مسكنه حتى سمع ربة الدار تطالب بالايجار وصوتها يدوى فى الفضاء فلما دخل حسان ارغت وأزبدت ولكنه طمأنها واعداً اياها بدفع الأجرة قريباً إن شاء الله ..

فخرجت المرأة ثائرة والزبد يعلو شد قيها وتطلع حسان فإذا بشقيقته( سلوى تحتضن امها وتتساقط الدموع من عينيها كالسيل المنهمر وكذلك دموع والدتها تتساقط من عينيها ولكنها لا تلبث أن تختفى فى ثنيات شعر صغيرتها .

كانت سلوى جائعة تتلوى . لم تذق طعاماً منذ ليلة ويوم كانت تبكى وتنتحب الام ترى وكبدها تكاد تتفتت وأحشاؤها تكاد تتقطع وهى عاجزة عن عمل شئ من أجلها . وسلوى

تهـمس فى اذن والدتهـا فى صـوت باك منتحب فيه ( رنة الحزن والبؤس ) . أمى - أمى ألا يوجد لقمة بس آكلها ؟ ! .

تواترت الخواطر علي حسان . وتملكته الهواجس .. وأحس بحقد عظيم على العالم ومن فيه وأخيراً اعتزم أمراً .. ؟ قرر أن يبيع دمه !!

سار فى طريقه متزن الخطا ومر بالجالسين على المقاهى وقد امتلأت بطونهم وانتفخت جيوبهم . رأى قوماً يرتشفون كؤوس الهناة والنعيم ويمتصون رحيق السعادة . فى حين أنه ترك فى الغرفة المظلمة القذرة بائستين على الطوى تمتصان مرارة الشقاء وتتجرعان الألم .. واذ بحسان يرى خادمهم ( العم بيومى ) جالساً على

المقهى .. فوقف حسان بعيداً عن المقهى
وناداه . فتلفت العم بيومى حوله فرأى شاباً
ممزق الثياب طويل اللحية هوأشبه بأهل
الكهف يناديه . سار اليه وهو لا يعرفه
لتغيير هيبته . ولما اقترب منه قال له
حسان .. كيف حالك يا عم بيومى ؟ الا
تعرفنى ؟ فقال له : لا والله يا بني - من
أنت ؟ فقال حسان : أنا حسان بن ... بن ...
عبد الرحمن التاجر الذى كنت تعمل عنده -
أعرفتنى ؟ فأنقشعت الغشاوة عن الرجل
وتذكر حسان الطفل المدلل .. حسان ذلك
الغنى الذى كان يخرج الى المدرسة فى
السيارة كل صباح .. حسان الذى أغراه مال
ابيه ففشل فى دراسته حسان الذى كان
شعار حياته ..لماذا أجهد نفسى فى الحصول

على شهادة نزين بها الجدار ؟؟ وأخيراً دارت الايام دورتها ورأى امامه حسان البائس الذى تحالفت على تكدير صفوه الأيام وعادته الأحزان والآلام . وأغروقت عينا الخادم الوفى بالدموع واحتضن سيده القديم .. وسار معه الى المنزل وحسان يحدثه عما آل اليه أمرهم بعد أن تبددت ثروة أبيه .. فقد ابتلعت ديونه كل ما تبقى لديهم بعد وفاة أبيهما حسرة بعد أن خسر كل ثروته .... وما قاسته شقيقته سلوى الصغيرة ووالدته . فقد تنكر لهم من كان بالأمس يأكل خيرهم .. فطيب الخادم القديم خاطره .. وأخبره أنه رئيس لبعض العمال ووعده بأن يشتغل معه زميلاً وشريكا فى أعماله .. وما كادايقتربان من المنزل حتى دوت فى آذانهما صيحة

مختنقه باكية ترسلها سلوى وسط هذا السكون الشامل . صيحة صادرة من قلب مكلوم وفؤاد امتلأ بالأحزان . اقتحم حسان المنزل وتبعه الخادم . فتح باب الغرفة فى هلع وفزع . فى تلك اللحظة الرهيبة .. وقعت عيناه على منظر يفتت أشد القلوب صلابة ويدمع العين المتحجرة وتقشعر له الأبدان .. رأى والدته مسجاه على الفراش القذر وقد اسلمت روحها وهى فى أشد ساعات الألم والحزن على وحيدها ووحيدتها التى رأها تحتضن امها وتهزها باكية منادية : أمى - أمى أجيبينى - لم لا تكلميننى ؟ ؟ ؟

ارتمى حسان على جثة والدته وانهمرت من عينيه الدموع تبلل وجه الأم المسجاه وقد ارتسم علي وجهها آيات من الآ لم العميق

حزنا علي طفلتها التى تركتها بين احضان الألم . أجل بكى حسان بكى لا لآم الحياة ونكبات الدهر .. وركع خادمه الوفى بجانبه وعيناه مغرورقتان بالدموع وربت على كتفه قائلاً فى صوت حزين : كن رجلاً .. ردت هذه الكلمة الى حسان عقله الشارد ولبه المبعثر فقام من مكانه وحمل شقيقته سلوى بين ذراعيه وهو يجفف دموعه الهاطلة .. وألقى الخادم معطفه الأبيض على الجثة .. وفى الصباح حمل جثمان الأم الى مرقدها الأخير . وغابت بين الثرى ... أودعها حسان التراب كما أودع أباه من قبل .

أوفى العم بيومى بوعده و شغل حسان شريكاً . فذاق وسلوى شيئاً من الراحة والهناءة وفى أحد الايام بينما كان

حسان واقفاً على ( سقالة ) خشبية يلاحظ العمال وكانت سلوى جالسة بجوار المنزل المقابل تعبث بالتراب تارة وتنظر الى أخيها أخرى وتناديه . . اذ حانت منه لفتة غير موفقة فهوى من علوه الشاهق الى الأرض . رأت الأخت شقيقها وهو يهوى فصرخت وهرولت نحوه وارتمت عليه . وفتح حسان عينيه لحظات ونظر الى شقيقته مرتين حارتين فيهما معانى الأسى والحزن على شقيقته التى سيتركها ولا عائل لها وهى بعد لم تبلغ السن التى تمكنها من أن تعيش وحدها . وما لبث أن أغمض الى الأبد وفاضت روحه .. وهرول المارة على صوت السقوط .

وجاءت عربة حملت القتيل وفرقت بين الأخ عن أخته .. وهى تجرى خلفها بأقصى

سرعتها باكية مولولة .. أخذها أحد المارة ذاهباً بها الى حيث يوجد أخوها .

فحاولت الدخول .. ولكن منعها البواب وهددها بالضرب ان لم تبتعد .. فجلست بجانب الحائط تنتظر خروج شقيقها !!!

مرت الساعات وسلوى جالسة تنتحب وحدها .. تبكي وتنوح .. وتهاطلت دموع تلك الطفلة اللطيمة اليتيمة .. التى لا تعرف لها مأوى ولا داراً ولا تجد بجانبها من يحنو عليها أو يرفق بها

وخرجت عربة حزينة سوداء تحمل القتيل الى قبره .. فغاب جسد حسان فى جوف الأرض . . . ثم أقبل الظلام .. وسلوى جالسة بجانب القبر لا تدرى اين تذهب .. وهى لا تملك الا الدموع تذرفها

فزعت ونهضت من مكانها .. وأخذت تعدو وحتي ابتلعتها ظلمات الليل البهيم .

الى اين تذهب تلك الطفلة الساذجة الى أين ؟ لا أحد يدرى . ولا هى نفسها تدرى . ولكنها تسير مندفعة حيث تقودها قدماها .. حيث تدفعها أمواج الحياة الى المستقبل المجهول . الى أحضان البؤس والفاقة الى..... المكتـــوب على الجبيـــــــــــــن .



# قبلة حب

عدنى ألا نلتقى ثانية أرجوك ،، وليحاول كل منا أن يبدأ من جديد فالحياة زمرة بدايات .. عدنى أيضاً أن نظل أصدقاء .. فالصداقة المجردة أقوى من أى رابطة أخرى فى الوجود .

صدقنى الحب شئ من الصداقة والصداقة هى كل الحب .

ابتسم ابتسامة وضاءة ساعدتها على الاستمرار فى نبرتها العقلانية فاستطردت ....الصداقة هى قمة النبل .... قمة الحب ... قمة الانسانية .. هى رأس كل فضيلة في هذا العالم الأسود .

همس مستجدياً : والحب ؟

ردت : الحب هو قمة الانانية ...

قاطعها بنظرة حانية : الحب هو العطاء .. الحب هو الازدواجية .. الحب هو الد أعداء الانا .. فكيف تقولين أن الحب هو قمة الأنانية !!!

هم بأن يقبلها بين عينيها .. أشاحت بوجهها القمحى عنه وصاحت غاضبة أرأيت الحب تبادل قبلات .. والصداقة تبادل أفكار وعواطف سامية .

نفذ صبره وصاح بها .. لا .. هذا غير معقول .. هذا كثير .. لقد تغيرت كثيراً قولى أن فى الامر شيئاً . لقد كان لدى احساس غامض فى أول لقاء بأن هناك شيئاً تخفيه عنى .

صاحت به وتملكها شعور مختنق بالبكاء

- وبأى حق لك على أن تقرر أنك صبرت أم نفذ صبرك . أدرك فجأة أنه أخطأ الهدف . فداعبها بنبرة متوسلة :

حق صداقتنا .......

نظرت اليه بتأفف .. قالت بصوت مشروخ : أى صداقة تلك ؟ أنت آخر انسان يتحدث عن الصداقة ...

- بحق حبنا .

وانفجرت غاضبة .

- أرجوك لا تثير حنقى عليك بهذا الكلام السخيف صدقنى لم أعد اطيق سماعه .

- رد عليها بسخرية لاذعة :

- وماذا تريدين أيتها الراهبة ؟

- ازدردت الكلمة وتمتمت :

- لا شئ ... انك لم ولن تفـــــهم أبدا ..

وأجهشت بالبكاء فأخرج من جيب سترته منديلاً وجفف دموعها وعرقها المتصبب وهمس فى اذنها ....

- لقد أدركت كل شئ ... عذرا يا حبيبتى

- لقد تأخرت كثيراً ولكن بحق حبنا كنت أحاول أن استمد من الصبر عزيمة ومن العزيمة صرحاً لنبنى به عشنا الدافئ السعيد تهلل وجهها .. بينما استمر فى استرساله .

وتسللت اصابعه برفق عبر فتحة ضيقة فى جيب الجاكت الانيق تعثرت يده فى علبة صغيرة انيقة .. أخرجها برفق ومد يده إليها بها وقال افتحيها .

فتحتها وزاد اشراق وجهها الناصع ..



وجدت بداخلها دبلتين مكتوبا عليهما اسميهما .

حاولت أن تقول شيئاً فلم يمكنها من ذلك .. صمتت كل الصمت ولكنه صمت جميل .. ألقت برأسها على صدره العريض .. ربت على رأسها بحنان .. رفع ذقنها الى أعلى .. استكانت وكانت أول قبلة حب .



# شبح سعد

مع أن شقيقتى لها ثلاثة أبناء إلا أن الصغرى أسماء وحدها استعمرت قلبى واستأثرت بكل محبتى لأسباب لا أزعم حتى لنفسى صحة تأويلها أو القطع بها . وأعرف تماماً أن علاقتى بالأطفال سيئة للغاية فلا أطيق رائحتهم فى الرضاعة وأشمئز من صراخهم وعويلهم الذى لا ينقطع وأدرك أيضاً أنني لا أحتمل بقاء طفل بين يدى أو على كتفى دقائق حتى من باب المجاملة لوالديه أو لإظهار شعور زائف بإعزازى لهم ولأطفالهم . .

أسماء وحدها كسرت كل الحواجز وعبرت بى كل الجسور، وشقيقتى تجزم أنى أحبها

لأنها تشبهني تماماً وصديقى يؤكد أن
أواصر الشبه بينها وبين من كانت حبيبتى
وأنا أسرح وافكر واستبطن ذاتى لأدفع عن
نفسى إتهاماتهم ولكن بلا جدوى أضمها
لصدرى وأضحك فتتعلق بعنقى وتشتمهم
وتضحك لأنها جاءت لعالمى فى الوقت
المناسب جداً قبيل الخروج من أزمتى الحادة
التى امتدت سنوات وكدت أفقد ذاكرتى
للأبد . . .

ربما كانت رسول الحياة وبشير الأمل
والثقة فى النفس والادب . . ربما ولان أسماء
كانت وما زالت معلمتى وصديقتي يحلولى
أن أبدأ موضوعاً هكذا . . كان المرحوم سعد
حين يجوع أو يعطش يمأمئ، بشدة مزعجة
فتسرع اليه الصغيرة أسماء بنت الربيعين،

بكل براءة تسرع اليه ظناً منها بأنه يناديها
لا خوف تمسك رقبته، تداعبه ثم تعتليه
وحين يجرى بها تصرخ وتناديني لكى
أخطفها من فوقه ثم تعيد الكرة وهكذا بلا
آخر . حتى استيقظت يوم العيد فلم تسمع
له صوتاً وأخذت تفتش عنه فى كل الحجرات
وتصرخ فى وجهى أين سعد ؟ أين خروفى يا
خال ؟ عقدان من الزمان مرا وقد تناسيت
قصتىأنا أيضاً مع « سعد »

فلم أستطع الرد أو الجواب ولم أجرؤ على قتل
حبيبتى أسماء كما قتلتنى جدتى .

أتذكر الا ن جيداً ثلاثة أعوام
ظلت معدتى ترفض بشدة أى زائر من
فصيلة اللحوم، من السابعة للعاشرة من
عمرى لم يطرق جوفى حتى السمك، أسماء

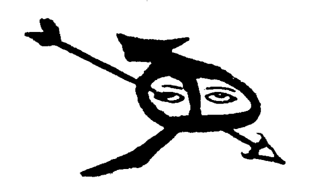
ما زالت تصرخ فى وجهى وأنا عاجز حيالها
ومازلت أبكماً والشريط كله يمر أمامى
وصدى صوته يخرم أذنى : كان المرحوم سعد
صديقى ورفيق طفولتى يمأمئ بشدة فأسرع
اليه بأعواد البرسيم الاخضر وأحمل اليه
الماء وكانت سعادتى غامرة حين يلعق بلسانه
يدى ويجتر البرسيم الاخضر وجفن الذرة
الجافة ثم نستأنف اللعب والجرى في حوش
بيتنا القديم الذى ما زال يسكننى وما زلت
أسكنه فمنذ فارقناه هو الآخر وقلبى لا يتسع
أبداً لسواه، أسماء ما زالت تصرخ وأنا جامد
حيالها ، وهاجدتي فى ضحى يوم العيد
تسرع الى رفيقى وتقبض عليه تكتفه بكلتا
يديها وتجره بعنف من الحوش لصالة جانبية
معتمة ثم تسلمه لأبى وأبى بدوره يسلمه
لعمى وعمى يكبر بصوت مسموع : حكم
عليك ربك وقدر ، ثم يرفع يده لأعلى وأبى

يقلب له عنق سعد ليهوى عليها بسكين بشعة يذبحه بلا رحمة وروحه تتطاير أمامى وخرير دمه يصرخ بشدة وعيناه تجحظان وأنفاسه رويداً تسكن وهم يتضاحكون وينسجون من حوله ويتبادلون التهنئة بالعيد المبارك . ذبحوه أمام عينى وسلخوه وبقروا بطنه وأخرجوا أحشاءه وكان البرسيم فى معدته يبكى فتشوا عنى فى كل البيوت عند الجيران والاقارب حتى حملونى عنوة فوق كتف أخى الاكبر من بيت عمى لبيتنا كى أشاركهم فى أكل سعد وأنا أتقيأ وأجرى،ثلاثة أعوام كلما اشتممت رائحة اللحوم أتقيأ وأصرخ .

وفى الذكرى الثالثة لرحيل سعد وفى يوم العيد الرابع أمسكوا بى عنوة وحملونى من بيت عمى لبيتنا وأسلمونى لجدتى،اسرعت وأمسكت بيدى وغمستها بشدة فى دماء سعد

الممتزجة بتراب حوش بيتنا القديم ثم ألبستنى فروة، وظلت تطوف بى حجرات البيت واحدة تلو الاخرى وأبى خلفها يحمل أناء من الفخار تنبعث منه سحب البخور العتيق، ما يقرب من الساعة يطوفان بي أرجاء البيت ويعيدان الكرة والشيخ كثيف اللحية يجلس فوق أريكة جدى الخشبية ويتلو أورادا وأدعية ويمسك تارة رأسى ويهمس تارة فى أذنى بكلام لم أفهم حتى الآن معناه، ثم أمرهم يتركونى أنام وبعد أن أصحو سأطلب بأذن الله بنفسى، بالفعل فى صباح اليوم التالى استيقظت من النوم وأخذت أفتش عن جدتى فى كل حجرات منزلنا القديم وأطلب منها بإلحاح نصيبى من لحم سعد وأضحك وبدأ الكل يضحك وجدتى تمد يدها فى القدر وتدعو لمولانا

وتحملق في وجهى وتضحك ومازلت أهضم
وأضحك، وما زالت الصغيرة أسماء تسألنى
وتصرخ وأنا لا أستطيع الجواب ولا أجرؤ
على قتل حبيبتى أسماء ..........



## فهرست

# المراســلات

شمال سيناء - العريش
ص . ب { ٦٤ }
حسن غريب أحمد

رقم الإيداع
٩٥/٣٨٤٣
الترقيم الدولى
٩٧٧/٢٨٠/٠٠٦/٤